حوليات آداب عين شمس (أبحاث المؤتمر الدولي السابع لقسم اللغة العبرية وآدابها)
(فلسطين: الماضي والحاضر والمستقبل)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

السلام في فلسفة "يشعياهو ليبوڤيتش– ישעיהו ליבוביץ"

أ. إيمان محسن سيد بكر*

المدرس المساعد بقسم اللغة العبرية وآدابها– كلية الآداب– جامعة عين شمس
eman.mohsen@art.asu.edu.eg

المستخلص:

جنح أغلب الفلاسفة اليهود في العصر الحديث إلى المواءمة بين اليهودية والحركات الغربية الحديثة، اعتمادًا على المفاهيم العقلية التي أنضجتها الفلسفة الغربية وصبغت بها روح العصر. وبعد قيام إسرائيل عام 1948، وما تلاها من سلسلة لا تحصى من الحروب، أسفرت عن تكوين الصراع العربي الإسرائيلي من جهة، ومفاوضات للسلام من جهة أخرى. فتبنى وطوّر اليهود فلسفاتٍ جديدةً لتلبية متطلبات ومستحدثات الواقع الجديد الذي وجدوا أنفسهم فيه.

وكي نفهم هذه الفلسفات، علينا أن ندرك أولا السياق الذي نبعت منه. ومن هنا دعت الحاجة لدراسة هذا الاتجاه الفلسفي المعاصر، وهو ما يمكن أن يعكسه لنا الفيلسوف الإسرائيلي "يشعياهو ليبوڤيتش" (1903–1994م)، موضع الدراسة. حيث تعكس أفكاره أحد نماذج الفكر الفلسفي السياسي بعد قيام إسرائيل، والتي لا تزال تطرح في الساحة السياسية الإسرائيلية حتى اليوم.

وستناقش هذه الدراسة مفهوم السلام في فلسفة "ليبوڤيتش"، والحلول التي قام بوضعها وطرحها لتسوية قضية السلام، والتحديات التي تواجه تنفيذ هذه الحلول من خلال الاعتماد على تحليل كتاباته. حيث وضع العديد من المؤلفات التي تناول فيها الواقع الإسرائيلي من جميع جوانبه، وكان من ضمن القضايا المهمة التي طرحها قضية السلام، ومستقبل فلسطين، والواقع الإسرائيلي، والحلول الممكنة.

وعلى هذا الأساس، قسمنا الدراسة إلى محورين، يسبقهما تمهيد نعرض فيه نشأة "ليبوڤيتش" ومسارات حياته واسهاماته الفكرية. وسيحمل المحور الأول عنوان: "مفهوم السلام في فلسفة "يشعياهو ليبوڤيتش"، بينما سيكون عنوان المحور الثاني: "رؤية استشرافية للمستقبل الفلسطيني ".

ثم نختم هذه الدراسة بخاتمة تلخص أبرز النتائج، تليها قائمة المصادر والمراجع التي تم اعتمدنا عليها.

الكلمات المفتاحية: السلام– الفلسفة اليهودية– يشعياهو ليبوفيتش

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2024.

مقدمة:

إن المتتبع لنشأة الفلسفة اليهودية سيجد أنها تأثرت بثقافات وفلسفات عدة، بدءًا من الفلسفة اليونانية ومرورا بالفلسفة الإسلامية، ونهاية بالفلسفة الغربية في العصر الحديث والمعاصر، مما يدل على عدم كونها نتاجًا خالصًا للفكر اليهودي. ومع ذلك، حافظت الفلسفة اليهودية على ارتباطها بإرثها الديني، حيث أصبحت وسيلة لتحقيق الأهداف السياسية والمادية والروحية لليهود. وبالتالي، فإن الحفاظ على الصلة بين الفكر الديني والتكيف مع التغيرات الزمنية، أصبح ضرورة ملحة لاستمرار الحياة وتحدياتها.

وفي العصر الحديث والمعاصر جنح أغلب الفلاسفة اليهود إلى المواءمة بين اليهودية والحركات الغربية الحديثة، اعتمادًا على المفاهيم العقلية التي أنضجتها الفلسفة الغربية وصبغت بها روح العصر. وبعد قيام إسرائيل عام 1948، وما تلاها من سلسلة لا تحصى من الحروب، أسفرت عن تكوين الصراع العربي الإسرائيلي من جهة، ومفاوضات للسلام من جهة أخرى. فتبنى وطوّر اليهود فلسفاتٍ جديدةً لتلبية متطلبات ومستحدثات الواقع الجديد الذي وجدوا أنفسهم فيه.

وكي نفهم هذه الفلسفات، علينا أن ندرك أولا السياق الذي نبعت منه. ومن هنا دعت الحاجة لدراسة هذا الاتجاه الفلسفي المعاصر، وهو ما يمكن أن يعكسه لنا الفيلسوف "**يشعياهو ليبوڤيتش**" (1903-1994م)، موضع الدراسة. حيث تعكس أفكاره أحد نماذج الفكر الفلسفي السياسي بعد قيام إسرائيل، والتي لا تزال تطرح في الساحة السياسية الإسرائيلية حتى اليوم.

ولقد وقع اختيارنا على فلسفة "ليبوڤيتش" لأنه ينتمي إلى نخبه أكاديمية، وليس حزبا أو حركة سياسية أو دينية، مما منحه فرصة تحليل القضايا، تحليلا موضوعيا إلى حدا ما. فضلا عن أنه عاش قرن كامل من الزمان، شهد فيه تطورات الأوضاع السياسية لليهود في العصر الحديث والمعاصر. بداية من إرهاصات الحركة الصهيونية، ومرورا بقيام إسرائيل عام 1948، ومعايشة عدة حروب أهمها حرب 1967، وحرب 1973، وصولًا إلى مبادرات السلام مع إسرائيل. ونهاية بأنه قدم تكهنات تتعلق بعصرنا الحالي، محذرًا من بوادر الانهيار الصهيوني، ودمار إسرائيل.

واستنادا إلى ذلك، سنتناول في هذه الدراسة مفهوم "ليبوڤيتش" للسلام، ونبحث في إمكانية تحقيق سلام حقيقي من عدمه. وسنجيب على مجموعة من التساؤلات: هل آمن ليبوڤيتش بالسلام مع العرب؟ أم أن نضاله مستندًا إلى قيم فلسفية إنسانية؟ هل كانت أفكاره متضاربة، أم أنها كانت واضحة وموضوعية؟ وما هي رؤيته الفلسفية لمستقبل الفلسطيني-الإسرائيلي؟

تقتضي الدراسة الاعتماد على **المنهج الوصفي** لوصف وتحليل مفهوم "**يشعياهو ليبوڤيتش**" للسلام، من خلال الاعتماد على مؤلفاته، وما تحمله من أفكار ومفاهيم، كما سنعتمد أحيانًا على المنهج المقارن لنتمكن من المقارنة بين ما حذر منه وتنبأ به، وبين ما يحدث ولا زال يحدث الآن في إسرائيل.

وتأسيسًا على ما سبق فقد قسمنا الدراسة، إلى محورين، يسبقهما تمهيد: نعرض فيه نشأة "يشعياهو ليبوڤيتش" وحياته واسهاماته الفكرية. وسيحمل المحور الأول عنوان: "**مفهوم السلام في فلسفة "يشعياهو ليبوڤيتش"**"، بينما سيكون عنوان المحور الثاني: "**رؤية استشرافية للمستقبل الفلسطيني** ".

ونختم هذه الدراسة بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلنا إليها، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

تمهيد:

قبل أن نتطرق إلى موضوع الدراسة، لابد من إلقاء الضوء على مسارات حياة "يشعياهو ليبوڤيتش"، للوقوف على ملامح اتجاهاته الفكرية:

يعد "يشعياهو ليبوڤيتش" أحد أبرز الفلاسفة اليهود في القرن العشرين، ورمزًا لحقبة جديدة في تاريخ الفلسفة اليهودية الحديثة والمعاصرة. إذ عُرف كعالِم متدين في مجالات الفلسفة والشريعة اليهودية، وكان قائدًا متمردًا على التقاليد اللاهوتية والأيديولوجية. بالإضافة إلى ذلك، كان مناضلًا وناشطًا سياسيًا، مما أكسبه تقديرًا من البعض ومعارضة من آخرين. ونتيجة لذلك، حصل على ألقاب تعكس ملامح اتجاهاته الفكرية أبرزها: "نبي الغضب" و"صوت الضمير". (שגיא، 1995، עמ' 12-14)

ولد "ليبوڤيتش" في روسيا عام 1903م، لعائلة ميسورة ومتدينة تؤيد فكرة الصهيونية؛ والتحق بالمدرسة في سن الثالثة عشرة، وقبل تلك الفترة من حياته كان يتلقى تعليما منزليا تحت إشراف معلم خاص، أما والده فقد كان يُدرس له الآداب وخاصة مؤلفات "موسى بن ميمون "، مما ترك أثراً كبيراً عليه. وفي سن الرابعة عشرة، تمكن "ليبوڤيتش" من تعلم أربع لغات: العبرية، والألمانية، والروسية، ولغة اليديش. (ליבוביץ', 1999، עמ' 11- 12)

وفي فترة لاحقة التحق "ليبوڤيتش" بالمدرسة الثانوية للحصول على شهادة البكالوريا باللغة الألمانية عام 1917. وبعد هجرة أسرته من "روسيا" إلى "ألمانيا" عام 1919 ابان الحرب العالمية الأولى، تمكن من الالتحاق بجامعة "برلين" حيث درس فيها الكيمياء والفلسفة. وحصل على الدكتوراة في الفلسفة عام 1924، ثم حصل على دكتوراة أخرى في الكيمياء الحيوية والطب من جامعة "بازل" عام 1934. وما لبث أن استولى النازيين على الحكم، فانتقل إلى فلسطين عام 1934 واستقرا فيها بصفة دائمة. وعُين أستاذًا في الجامعة العبرية في القدس، حيث قام بتدريس مجموعة متنوعة من التخصصات. كما شغل منصب رئيس تحرير الموسوعة العبرية الشاملة، وحرر ثماني مجلدات منها. (אליצור، 2008، עמ' 219- 220)

تقاعد "ليبوفتش" عام 1970، لكنه استمر في البحث والدراسة في الفلسفة والفكر اليهودي، مما جعله خبيرًا في ميدان الدراسات اليهودية. وتفرغ لإلقاء محاضرات وحلقات نقاش، كانت تُعقد أسبوعيا بصفة دورية، كان يعالج فيها قضايا متنوعة تتعلق بالمجتمع اليهودي في إسرائيل، وقد جذب هذا النشاط جمهورا كبيرا من المؤيدين والمعارضين، وكان يستمع إلى جميع الآراء، سواء كانت آراء مؤيدة أو كانت آراء معارضة. (שחר، 2007، עמ' 4)

ومن ناحية أخرى، كان منزل "ليبوفتش" في القدس يمثل بوصلة فكريَّة وثقافيَّة توجه زوار من مختلف الفئات: رجالًا ونساءً، شبابًا وشيوخًا، متدينين وعلمانيين. كان بعضهم يأتي للحصول على استشارات دينية بينما يأتي آخرون لمناقشة قضايا سياسية. واعتبره الكثيرون مرشدًا حكيمًا بفضل ثقافته العلمية والفلسفية. (אליצור، 2008، עמ' 220)

بالإضافة أيضا إلى مساعيه الأكاديمية والعلمية، كرس "ليبوفتش" نفسه للنشاط السياسي في السنوات الأولى من تأسيس الدولة، إذ قام بالمشاركة في عدد من المؤتمرات الصهيونية؛ وكان قائدا لفرقة دينية في المنظمات العسكرية

اليهودية الاستيطانية، ومن ثم ضابطا في تشكيل الجيش الإسرائيلي، وشارك في حرب 1948. ولكن بعد حرب 1967، تغيرت اتجاهاته الفكرية وأصبح أحد قادة سلسلة المناضلين الذين حاربوا المؤسسة العسكرية والفساد الحكومي، وطالبوا بحملات رفض إصلاح. كذلك نشأ جدل شديد ومتزايد بينه وبين الصهيونية الدينية. (גולדשטיין، 2011، עמ '7) (אליצור، 2008، עמ' 220)

توفى "ليبوڤيتش" عام 1994 في منزله بالقدس عن عمر يناهز 91 عاما، وقبل عام من وفاته، أوصت وزارة التربية الإسرائيلية منحه "**جائزة إسرائيل**" تقديرًا لإبداعاته الفلسفية وإسهاماته العلمية. ولكن منحه الجائزة أثار جدلًا واسعًا في إسرائيل وانقسمت الساحة السياسية ما بين مؤيدين ومعارضين، حيث اعتبره البعض مناضلا والبعض الآخر خائنا. ونتيجة لذلك قرر "**ليبوڤيتش**" التنازل عن قبول الجائزة. (אליצור، 2008، עמ' 221)

وتجدر الإشارة إلى أنه بعد وفاته، تبنى مجموعة من الشباب والمفكرين اليهود فلسفته، وأسسوا جمعية تُدعى: "**لذاتها**[1]**- לְנִשְׁמָה**"، للدفاع عن أفكاره وتكملة مسيرته من بعده، وليواجهوا التحديات والمعضلات الجديدة التي ابتُلي بها الواقع اليهودي. ولذا قاموا بتجميع وتفنيد الكثير من مقالاته وكتاباته، وحافظوا عليها من الاندثار، وأطلقوا على أنفسهم اسم: "**الليبوفيتشيين الجدد- נִיאוֿ- לִיבּוֹבִיצְ'יָאנִים**"، نسبة إلى لقبه. (ליבוביץ'، 1999، עמ' 12)

نشر "ليبوڤيتش" العديد من المقالات والمؤلفات خلال حياته وبعد وفاته، بالإضافة إلى لقاءات وحوارات صحفية تناولت أفكاره ومنهجه؛ شملت مواضيع متنوعة مثل: الأخلاق والقيم، والجسد والنفس، وجوهر الإيمان، وقدسية الأرض، واليهودية ديانة أم قومية، والعلاقة بين المتدينين والعلمانيين، والاحتلال والسلام. بجانب ذلك، تتوفر له تسجيلات صوتية ومقابلات صحفية وتلفزيونية، تم جمع بعضها في كتب، بينما يوجد الآخر في أرشيف شبكة المعلومات العالمية. (ליבוביץ', 1999، עמ' 12)

ولقد قمنا بحصر مؤلفات "ليبوڤيتش" ووجدنا أنها تصل إلى حوالي أربعة عشر مؤلفًا، بينما تم تجميع المحادثات التي أجريت معه في تسع كتب. ومن أبرز مؤلفاته: كتاب "إذا أردت أن تسأل البروفسور "ليبوڤيتش...الرسائل المرسلة الموجهة إليه ومنه-רציתי לשאול אותך פרופ' ליבוביץ...מכתבים שנשלחו אליו וממנו"، وهو يتضمن استفسارات واستشارات حول قضايا متنوعة، أرسلها إليه الآلاف من الجمهور اليهودي عبر الخطابات والرسائل، مشفوعة بردوده وإجاباته عليهم. تم تجميع هذه الرسائل ونشرها بعد وفاته في عام 1999. وكلك، كتاب "اليهودية، واليهود، وإسرائيل- יהדות, עם יהודי ומדינת ישראל"، الذي نشره عام 1975، ويعبر "ليبوڤيتش" فيه عن مخاوف حقيقية بشأن مستقبل المجتمع اليهودي الذي فقد جوهر اليهودية الحقيقي، ومن بين المواضيع التي تناولها الكتاب: اليهودية كدين يتضمن الصلوات وتعليم التوراة والوصايا، بالإضافة إلى العلاقة بين إسرائيل ويهودية الشتات. كما يتطرق الكتاب إلى الفروق بين اليهودية والمسيحية. أما بالنسبة لكتب المحادثات والمناقشات، فإن من أهمها، كتاب "أحاديث حول الإيمان والفلسفة- ויכוחים על אמונה ופילוסופיה"، والذي نُشر بعد وفاته عام 2006، وهو نتاج ثمرة المحادثات التي أجريت مع "ليبوڤيتش" على مدار عدة سنوات حول قضايا تتعلق بعقيدته وأفكاره الدينية والسياسية.

كان "ليبوڤيتش" يكتب في الأساس باللغة العبرية، وتميز أسلوبه بالحماسي والنقد اللاذع لسياسات الحكم الإسرائيلية، مثل: تشبيهه الدين في إسرائيل بالمرأة **العاهرة** المدعومة من النظام العلماني، واعتبر المؤسسة الدينية **قوادً** لها. كذلك هو أول من رفع راية المقارنة بين النازية ووقائع في اسرائيل، وأطلق مصطلح "**اليهود النازيون– יהודונאצים**"، ليصف ممارسات الجنود الإسرائيليين. (שחר، 2007، עמ' 5)

استخدم "ليبوڤيتش" أسلوب السخرية في مقالاته أيضا، خاصة بعد الخلاف مع السياسات الإسرائيلية عقب حرب 1967. وفي إحدى مقالاته في صحيفة "هآرتس"، انتقد بشدة تدفق السيارات إلى "حائط المبكى" بعد أن وضعت حرب 1967 أوزارها، معبرًا عن احتقاره للموجة الوطنية التي اجتاحت كلا من العلمانيين والمتدينين. ووصف حائط المبكى بأنه "المرقص الإلهي–דיסקוטק השכינה"، الذي شاركت فيه جميع الفصائل بالرقص واللهو، العلماني لكونه راقصًا، والمتدين لكونه يتصل بالإله. (אליצור، 2008، עמ' 220)

إذن أثارت أفكار "ليبوڤيتش" جدلاً واسعاً في الأوساط الإسرائيلية، حيث حصلت على تقييمات متباينة؛ فبينما يعتبره البعض أفضل مفكر يهودي، يراه آخرون زنديقًا ملتزمًا. وبالتالي، يمكننا أن نستنتج من العرض السابق وجود انقسام في الآراء حول فلسفة "يشعياهو ليبوڤيتش" وأفكاره، بين مؤيد ومعارض. ومع ذلك، لا يمكن إنكار أن تأثير أفكاره كان ملموسًا وأحدثت صدى في نفوس الجميع.

<u>المحور الأول</u>: مفهوم السلام في فلسفة "يشعياهو ليبوڤيتش":

يتباين الموقف من السلام في إسرائيل بناءً على التوجهات السياسية والدينية، حيث يمكن تقسيمه إلى مجموعتين: اليمين المتطرف، واليسار العلماني. وترفض مجموعة اليمين المتطرف مفهوم السلام وتتمسك بأفكارها العدوانية لتحقيق "إسرائيل الكبرى[2]"، بينما تدعو مجموعة اليسار–باسم الدين– إلى إقامة السلام واستيعاب جزئي للفلسطينيين والعرب. (خليفة، 1998، ص 94–97)

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، إلى أيا من المجموعتين تنتمي فلسفة "يشعياهو ليبوڤيتش"؟

دعا "ليبوڤيتش" إلى ضرورة فصل الدين عن الدولة، ولكن ليس بالمفهوم العلماني الذي يتبادر إلى أذهاننا، فالعلمانية وفقا لرؤيته، تستند إلى القيم الدينية اليهودية، كمرجعية قومية، لتحقيق أهداف ومصالح سياسية كانت أو شخصية. إذ وصف "ليبوڤيتش" الدين المنظم في إسرائيل بأنه بمثابة "السماسرة الذين يعملون لصالح السلطة الحاكمة"، وكان يعتقد في أن الدين يجب أن يبقى بعيدًا عن تأثير أي نظام حكم لأن الدين ثابت، بينما نظام الحكم متغير، وبالتالي، عارض المفاهيم الدينية اليهودية التي يتم صبغها بأهداف سياسية ذرائعية لتحقيق مصالح مطامع استراتيجية.

وبناء على ذلك، أبدى " ليبوفتش" معارضته الشديدة لتحقيق "إسرائيل الكبرى". ولا يعني هذا من وجهة نظر "ليبوڤيتش" تخلي اليهود عن الاستقلال السياسي أو القومي لهم، على حد قوله، بل ينبغي على إسرائيل أن تنسحب من المناطق الفلسطينية المحتلة، وأن تقبل بحل تقسيم الأرض إلى دولتين، آملا في حل السلام المستدام في المنطقة.

كان حل "ليبوڤيتش" لتسوية السلام يعتمد بشكل أساسي على شرط واحتمال، حيث أشار إلى أنه إذا تم فصل الدولتين، فإن السلام قد يصبح احتمالاً وليس يقيناً مؤكداً. كما انتقد مطامع الجانب الإسرائيلي في احتلال المناطق

الفلسطينية، محذراً اليهود من السياسات الإسرائيلية، واعتبر الانسحاب من هذه المناطق شرط لتحقيق لسلام. قائلا: "...**الحقيقة، في رأيي، هي أن السلام بين إسرائيل والعرب ممكن فقط في حالة تقسيم إسرائيل بين اليهود والشعب الفلسطيني. والخطورة تكمن في أن أي خط سياسي أو أمني نتبعه لن يضمن أمن وسلام دولة إسرائيل. إن قبضتنا العنيفة على الأراضي المحتلة والشعب الفلسطيني تجعل من الحرب أمراً لا مفر منه مع العالم العربي بأسره، بما في ذلك مصر. وفي تلك الحرب، سيحظى الجانب العربي بتعاطف ودعم العالم. إن شرط تقسيم الأرض بين الجانبين قد يسهم في تقليل احتمالية نشوب مثل هذه الحرب. وإذا كنت تتحدث عن "العداء"، فلماذا تخاف من الجانب العربي فقط وتغض الطرف عن الجانب الإسرائيلي؟ أليست هذه رئيسة وزراء إسرائيل "جولدا" التي تنكر حق الشعب الفلسطيني في الوجود بقولها: "لا وجود للشعب الفلسطيني[3]"؟ أليس هذا هو وزير الدفاع الإسرائيلي الذي أعلن تفضيله "شرم الشيخ دون سلام على السلام دون شرم الشيخ"، مما يعكس اعترافاً صريحاً بأن إسرائيل تفضل الاحتلال على السلام؟**" (ליבוביץ', 1992، עמ' 424 – 425)

هذه شهادة من "ليبوفيتش"، تبين لنا الروح العدوانية التي تسيطر على إسرائيل واستعدادها الدائم لشن الحروب؛ فلم يكن "ليبوفيتش" يتوانى في التعبير عن مواقفه الاحتجاجية صراحة من خلال ردوده وكتاباته كما ذكرنا سابقا في بداية الدراسة، وسيشبه إسرائيل لاحقا بوحش مفترسا؛ ولكنه في ذات الوقت أيضا لا يستطيع أن يتخلى عن قيمه الدينية اليهودية تجاه فلسطين، بالإضافة إلى اعترافه أيضا صراحة بحق الشعب الفلسطيني في الوجود على أرضه، مما يجعلنا نشعر بتخبط أفكاره.

ومما يدلل على ذلك أيضا، رده على أحد المراسلين قائلا: "**ولكن، حتى وإن لم يكن حل الانقسام (فصل الدولتين) ضمانة للسلام– علينا أن نسعى إليه بكل قلوبنا، كشرط لعودة دولة إسرائيل إلى ما يجب أن تكون عليه. سبق أن أوضحت عدة مرات... أن الوحش المسمى "أرض إسرائيل الكبرى"، وهو عبارة عن آلية استيلاء عنيفة على اثنان مليون إنسان (عربي) سيسلبون حقوقهم ... إنها ليست دولة "الشعب اليهودي[4]"، ولا دولة ديمقراطية، ولا دولة قانون. إن هذا الوحش لا يعكس أي مضامين أو قيم يهودية لا، وليس من المفيد وليس من المجدي أن يناضل اليهودي من أجل نظام حكم يسيطر على أكثر من 2–3 مليون شخص غير يهودي.... بل، ولا أرى أي فائدة من أن يقتُل أو يُقتل جندي يهودي من أجل رفع علم إسرائيلي على قبر "راحاب الزانية[5]" في أريحا أو قبر "حمور"[6] في شكيم (نابلس حاليا). إذا عدنا فقط إلى حدود دولتنا اليهودية، سيكون لدينا أرض تستحق الدفاع عنها، وسنكون ملزمين بحمايتها بكل ما أوتينا من قوة.**" (ליבוביץ', 1992، עמ' 425)

هذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى ترسخ الميثولوجيا اليهودية في فكر "ليبوفيتش" من جهة، وعدم إمكانية تخليه عن ربط الدين بالدولة من جهة أخرى، إذ ربط أساطير المقرا بالواقع المعاصر، مشيراً إلى أن موت الجنود الإسرائيليين لا يحمل قيمة تذكر في سياق قصة زانية كانت في الأصل امرأة كنعانية. بالإضافة إلى ذلك، يستشهد بقصة "دينا"، "ابنة يعقوب"، و"حمور" الذي اغتصبها من نسل كنعان فإن كانت دينة "ابنة يعقوب" اكتفت بالبقاء في منزلها لما اغتصبها "حمور" الكنعاني الأصل ولما أدى ذلك إلى حدوث مذبحة وإبادة جماعية لأهل كنعان؛ وكذلك هو الحال الآن مع

الفلسطينيين. فإن قامت إسرائيل بشن الحروب مثلما فعلت دينا بخروجها من منزل أبيها سيؤدي ذلك إلى التعدي عليها أيضا من قبل المقاومة الفلسطينية، وبالطبع حدوث مذبحة مروعة للفلسطينيين وسلسلة من النتائج المأساوية كما تجرى العادة.[7] بداية من القتل ونهاية بسلب ونهب كل ما في المدينة[8]. بل إن القصة تسرد أيضا أنه بزواج دينا (الجانب الإسرائيلي) وشكيم (الجانب الفلسطيني) كان من الممكن أن يكون هناك علاقة أكثر حميمية بين كلا الجانبين بني إسرائيل وأهل شكيم، ولكن باءت تلك المحاولة بالفشل، وهاجم أخوة دينة المدينة وقتلوا كل من فيها بمن ذلك شكيم نفسه. (تكوين 34: 26)

نلاحظ أيضًا أن القصص المقرائية التي استند إليها "ليبوڤيتش" كانت تركز على النماذج السلبية لأهل كنعان ما بين زانية ومغتصب. وعلى الرغم من أن ذكره لهذه القصص باعتبارها قصص سلبية، إلا إنها كانت حجة عليها، وهي اعتراف ضمني منه بأصل وأقدمية وجود الكنعانيين في أرض فلسطين، إلا إنه أراد التأكيد أيضا على أنهم ليسوا بتلك الأهمية الكبرى التي تستدعي أن يموت أي جندي يهودي بسببهم.

ويتضح أيضا من قوله السابق، أنه يشدد على ضرورة الحفاظ على حدود إسرائيل التي حددتها لها الأمم المتحدة، بعد حرب 1948، مشيراً إلى أنه لا حاجة للاحتلال أو توسيع الاستيطان. وما يهمه هو تحقيق الاستقلال السياسي لليهود والحفاظ على الوضع الأساسي للدولة. في هذا السياق، يمكننا أن نتخيل الحيوان المفترس الذي يسعى بجد لاصطياد فريسته والتمسك بها حتى لا تفلت منه، حيث تنتهي المطاردة عندما يتمكن المفترس من القبض على فريسته والاستماع بها، وهو ما يعكس الوضع الذي يدعو إليه "ليبوڤيتش".

وعلى الرغم من إمكانية القول بأن "ليبوڤيتش" هو شاهد من أهلها، وبأبناء جلدته أعلم، إلا أنه يتناقض مع نفسه. فهو يعترف بأن فلسطين هي أرض عربية، وسكانها الأصليون هم الكنعانيون، وفي الوقت نفسه يؤمن بوجود ما يسميه "دولة إسرائيل القومية". بينما ينتقد الأزمة الأخلاقية المتجذرة في الفكر السياسي الإسرائيلي اليهودي. وفي هذا السياق، يدعو إلى تقسيم الأرض بين إسرائيل وفلسطين لضمان استقلال كل منهما. (ליבוביץ', 1992، עמ' 426)

وإلى جانب تأييد "ليبوڤيتش" لفكرة حل الدولتين، فإنه دعا أيضا إلى ضرورة الحفاظ على الحقوق المدنية للمواطنين الفلسطينيين، وتعزيز سبل التعايش بين الجانبين. كما طالب المجتمع السياسي الإسرائيلي بضرورة التعايش السلمي مع العرب والحفاظ على العلاقات الإنسانية القائمة فيما بينهم. ولذا دعا "ليبوڤيتش" إلى التفريق بين أمرين أساسين يتعلقان بقضية السلام: الأول آلية التعامل مع العرب، والثاني السلام مع العرب، مع التأكيد على أن التعايش ليس متوقف على إبرام السلام، ففي رده على إحدى الرسائل الموجهة إليه عام 1969، قال: "**نحن نخلط بين أمرين مختلفين، وللأسف لا يوجد بينهما علاقة أو تأثير متبادل: (1) موقفنا وسلوكنا تجاه العرب كبشر ومواطنين في الدولة (2) مشكلة السلام بين اليهود والعرب. إذا كنا ندافع عن الديمقراطية والليبرالية**[9] **...، فلا يجوز لنا المساس بالحقوق الإنسانية والمدنية للعربي، حتى لو كنا نعلم أنه يكن لنا ولدولتنا كراهية مطلقة، طالما أنه لم يتخذ إجراءات فعلية ضدنا أو ضد الدولة؛ ومن البديهي أنه يتحتم علينا عدم المساس بكرامتهم أو إهانتهم. ويجب أن نبذل قصارى جهدنا للحفاظ على علاقات إنسانية عادلة في كل تواصل مشترك بيننا وبينهم، وهو ما تحقق إلى حد كبير في الجامعة العبرية. ولهذا السبب**

أعارض دائمًا سياسات الحكم العسكري، وهذا على الرغم من إدراكي أن العرب لن يصبحوا أصدقاء لنا في أي وقت.". (ליבוביץ', 1992، עמ' 422)

يتبين مما سبق، إن "ليبوڤيتش" لا يدافع عن حقوق الفلسطينيين حبا فيهم، بل من منطلق الالتزام بمبادئ الديمقراطية والليبرالية التي تأسست عليها الدولة على حد قوله. بدافع إن العنصر الديمقراطي في الدولة يوفر الحماية لجميع مواطنيها بما في ذلك الفلسطينيين، في مقابل ذلك يؤكد على إمكانية تحقيق التعايش بين العرب واليهود، إلا أنه لن تكون هناك روابط صداقة بينهم، ولكن في الوقت نفسه، هذا الاتجاه من شأنه أن يحافظ على ديمقراطية وآمن وسلامة إسرائيل.

بصفته مناضلاً وداعماً للسلام، قدم "ليبوڤيتش" في الخامس والعشرين من يونيو عام 1975، اقتراحات إلى "مجلس السلام الإسرائيلي الفلسطيني[10]– **המועצה הישראלית לשלום ישראלי–פלסטיני**" حول مبادئ السلام[11] لتحقيقه بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي؛ وقد طلب أعضاء المجلس من "ليبوڤيتش" الموافقة على تعيينه رئيسا فخريا للمجلس، ولكنه رفض ذلك، معلنا عن تأييده لمبادئ المجلس التي ينادي بها، ولكنه في الوقت نفسه يرى أن هذه المبادرة لن تسمن ولن تغني من جوع، لإنها ستؤدي في نهاية المطاف إلى مفاوضات ومناقشات دون دخولها حيز التنفيذ، وأوضح سبب رفضه قائلا: "**لا توجد فرصة للحوار الإسرائيلي الفلسطيني، ولا توجد إمكانيات حقيقية لشرح قضية السلام ما دامت دولة إسرائيل تسيطر على الشعب الفلسطيني، ولا يوجد حوار حقيقي بين الحكام والمحكومين، بل يمكننا إيجادهما فقط بين جانبين متساوين. الفلسطيني الذي يحترم نفسه ويملك وعياً قومياً عربياً لن يجري حواراً صادقاً معنا ما دامت إسرائيل تفرض سيطرتها على شعبه، حتى ولو كان هدفنا من ذلك الحوار هو إلغاء هذا الحكم. ربما يتغير الوضع بعد انسحابنا غير المشروط من الأراضي التي يسكنها مليون ونصف عربي، وكذلك بعد عدم تدخلنا في شؤونهم ... – حينئذ فقط ربما (ربما!) قد تكون هناك فرصة لإجراء مفاوضات. وبعبارة أخرى: يجب أن نغادر أولاً ثم نتحدث ثانيًا، بينما يبيتون نية عكس ذلك. إن هذا التخطيط لا معنى له ولا هدف**.". (ליבוביץ', 1992، עמ' 404، 406)

وبدلا من ذلك، ظل "ليبوڤيتش" يدعو إسرائيل إلى ضرورة الانسحاب من المناطق (قطاع غزة والضفة الغربية) التي احتلتها إسرائيل في عام 1967، والتعجيل بمفاوضات مع أي سلطة فلسطينية سيتم تشكيلها في تلك الأراضي من أجل تنظيم العلاقات بين كلا الجانبين، بما في ذلك التصحيحات الحدودية اللازمة والحل المناسب لمشكلة القدس من ناحية ضمها لتصبح عاصمة إسرائيل أم ستصبح عاصمة لفلسطين، أم سيتساوى الطرفين في تقاسمها بينهما. (ליבוביץ', 1992، עמ' 407)

إذن يعتقد "ليبوڤيتش" أن أي نشاط جمهوري في سبيل عملية السلام طالما لم يدخل حيز التنفيذ فلا فائدة منه إزاء الاحتلال الإسرائيلي، وربما يعد ذلك اتجاها فكريا يمكن وصفه بالاتجاه السلبي، ولكنه في ذات الوقت يعد اتجاها واقعيا. فقد بدا ذلك عندما أيد حكومة "رابين–רבין" (رئيس وزراء إسرائيل آنذاك 1974) بتحقيق أول خطوة من خطوات طريق السلام طويل الأجل[12]، ووصفها بالاتجاه الصائب، ولكنه يعود ويحذر إسرائيل من أن تحيد ثانية عن طريق السلام؛ قائلا في إحدى مراسلاته: "**إذا واصلت الحكومة السير في هذا الاتجاه، فهناك فرصة (ليست يقينية بعد) للوصول إلى السلام**

واستمرار وجود بلادنا بسلام. إذا لم يكن الأمر كذلك – فإن "دولة إسرائيل" لن تكون قادرة على الوجود لبضعة أيام"[13]. (לייבוביץ', 1992، עמ' 428)

لذا، فلم يكن يوجد أمامه خيار– حرصاً منه على اليهود ودولتهم – سوى الانسحاب من المناطق والحث على إبرام السلام. ويرى أن هذه السياسات من شأنها تقويض الأسس الإنسانية واليهودية للدولة. لذلك، لا بد من مغادرة المناطق ذات الكثافة السكانية العربية العالية التي لا يمكن تحويلها إلى مناطق يهودية تحت السيادة الإسرائيلية، لأن العرب في زيادة مستمرة ديموجرافيا.

في الختام، وقبل الانتقال إلى المحور الثاني من الدراسة، يمكننا تلخيص مفهوم السلام لدى "ليبوڤيتش"، في ثلاث نقاط رئيسية: الانسحاب من المناطق المحتلة بعد حرب 1967، والتعايش السلمي مع العرب، وإقامة حل الدولتين. ولا تعكس دوافعه في ذلك مجرد الرغبة في العدالة والسلام، بل تنبع من حرصه على الحفاظ على الدولة وعدم تدميرها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل السلام والتعايش ممكنان؟، أم من الممكن إقامة دولتين مستقلتين؟، وهل من الممكن تحقيق سلام فلسطيني–إسرائيلي بوجه عام؟، أم إن إبرام السلام بين الجانبين مستحيل؟ سنحاول الإجابة على هذه التساؤلات في المحور الثاني.

<u>المحور الثاني</u>: رؤية استشرافية للمستقبل الفلسطيني:

في ظل الوضع السياسي الدولي الراهن، يبدو أنه لا توجد آفاق للسلام بين الفلسطينيين واليهود في المستقبل المنظور، الأمر الذي تنبأ به "ليبوڤيتش" وحذر منه في كتاباته، بداية من حرب السادس أكتوبر 1973 بين مصر وإسرائيل، ومرورا بما تلاها من حروب بين إسرائيل والدول الأخرى، ونهاية بحرب "طوفان الأقصى" في السابع من أكتوبر 2023، بين عناصر المقاومة الفلسطينية وإسرائيل، والتي ما زالت مستمرة وقائمة حتى وقتنا الراهن. وسيتضح لنا رؤية "ليبوڤيتش" الاستشرافية للمستقبل الفلسطيني–الإسرائيلي في الصفحات القادمة:

أقر "ليبوڤيتش" باستحالة السلام مع العرب بشكل عام، ومع الفلسطينيين بشكل خاص قائلا: "**لن يكون العرب أصدقاء لنا أبدًا، ولا مفر من أن يكونوا أعداءنا الذين يجاهدون من أجل عروسنا[14]، لأننا المحتل الغريب–הכובש הזר الذي استولى على ما يعد في أعينهم أرضهم ووطنهم. ولن تؤدي أي معاملة عادلة من جانبنا إلى تغيير هذه الحقيقة؛ والتعجيل بالسلام اليهودي العربي– השלום היהודי–ערבי. ومن المستحيل أن يقبل العرب تحويل هذه الأرض– التي كانت أرضاً عربية منذ 1300 عام– إلى دولة إسرائيل، كما لا يمكننا أن نتخلى عن استقلالنا ووطننا القومي الذي استعدناه بعد 1900 عام... ولذا لا توجد فرصة للسلام اليهودي العربي في المستقبل القريب**". (לייבוביץ', 1992، עמ' 422)

وأكد في موضع آخر أن إسرائيل ستظل إلى أبد الأبدين في حالة حرب مستمرة قائلا: "**في المستقبل المنظور، لا يبدو أن السلام بين إسرائيل والدول العربية هو احتمال واقعي. محكوم علينا أن نقضي فترة طويلة–لا يمكننا تحديد مدتها مسبقا– دون سلام، وبالتأكيد دون أمن، في حالة حرب بالقوة، والتي قد تتحول يوما بعد يوما إلى حرب حتمية.**

وسنضطر إلى دفع ثمن وجودنا باستمرار، سواء من حيث الأرواح البشرية أو من خلال التراجع في المجال الاقتصادي ومجالات أخرى، التي لا يمكن تطويرها إلا في بيئة من السلام النسبي. ومن غير المؤكد كم من الوقت سنتمكن من الصمود تحت هذه الظروف...". (ליבוביץ', 1979، עמ' 270)

وفي هذا السياق، يفقد "ليبوڤيتش" الأمل في إمكانية تحقيق السلام في المنطقة على كافة الأصعدة، ويتوقع استمرار حالة من انعدام الأمن والأمان الدائم لإسرائيل؛ قائلا: "**لا أعتقد أن هناك فرصة لسلام حقيقي بيننا وبين العرب في المستقبل القريب، وبالتالي لا توجد أيضاً فرصة لتحقيق الأمن: لا توجد "حدود آمنة-גבלות בטחות". نحن محكومون دائماً بالعيش في حالة من عدم السلام والأمان، كما عاش " اليهود" بجهود جبارة وتضحيات جسيمة أبدا الدهر**"[15]. (ליבוביץ', 1992، עמ' 396)

ويضيف "ليبوڤيتش": "**إنني لا أمتلك أية آمال بشأن المستقبل، وعلى الأرجح لن تجلب السياسة التي أؤيدها عملية السلام، ولن يتخلى العرب عن مطالبتهم بفلسطين. ولذلك أخشى من أن تضطر إسرائيل البقاء في حالة حرب مع العالم العربي لسنوات عديدة قادمة، ولكن ليس لدي خيار سوى قبول ذلك المستقبل. إننا في حالة حرب مع العرب ونحتل أراضي العدو. وفي ظل هذه الظروف سيحدث الأسوأ، أنا مع إنهاء الاحتلال، لكني لا أعرف أي طريقة لإنهاء الحرب**". (ליבוביץ', 1992، עמ' 402)

يتضح مما سبق، مدى تخبط " ليبوڤيتش" واغترابه بين سندان الاحتلال والسلام؛ وبالفعل، تحقق ما حذر منه "ليبوڤيتش"، وجاءت الرياح بما لا تشتهي إسرائيل، حيث اندلعت حرب أكتوبر 1973. ولقد توقع "ليبوفتش" ذلك في مقالا له، جاء تحت عنوان: "**المناطق المحتلة والسلام والأمن – השטחים, השלום והבטחון**"، الذي نُشر في صحيفة "هآرتس" بتاريخ 3 نوفمبر 1972، أي قبل حوالي أحد عشر شهرًا من حرب أكتوبر 1973 حيث أشار إلى: "**إن تاريخ السنوات الخمس والعشرين الماضية قد أسفر عن وضع لم يعد فيه من الممكن تحقيق سلام تفاوضي بين الجانبين...بعد حرب 1967 تم الحفاظ على حالة اللاحرب واللاسلام.. ولا نعرف إلى متى ستستمر هذه الحالة من التوتر، أو كيف ستنتهي.... قد تندلع حرب أو سلسلة من الحروب في أي لحظة... إن هذا الوضع يفرض علينا أعباءً هائلة من التوترات العسكرية والاقتصادية والسياسية والروحية والعقلية، مما يهدد بتدمير جميع أسس الوجود الاجتماعي والثقافي السليم. وإذا لم تتوفر فرصة للسلام، فلن يتحقق "الأمن". وإذا لم تكن هناك حدود متفق عليها، فلن تكون هناك حدود آمنة.**". (ליבוביץ', 1979، עמ' 426)

وعندما اقترح على "ليبوڤيتش" بعد حرب 1973، حل الصراع عن طريق إنشاء دولة ثنائية القوميتين كان رد "ليبوڤيتش" في رسالته بتاريخ 6 يونيو 1988؛ إن حل الدولتين الذي كان ممكن أصبح الآن حلا مستحيلا. إذ أن المصالح والطموحات والقيم بين كلا الشعبين ليست مختلفة فحسب، بل إنها أيضًا متعارضة تمامًا. وأكد أنه لا يوجد بديل سوى احتمال واحد، وهو من أسوأ السيناريوهات، حيث ستكون إسرائيل، التي وصفها بالاستعمارية الفاشية، في حالة حرب مع الفلسطينيين والدول العربية المجاورة حتى الفناء. (ליבוביץ', 1992، עמ' 427)

إذن أقر "ليبوڤيتش" باستحالة تحقيق السلام، نظرا لسلب إسرائيل أرض الفلسطينيين، وفي الوقت نفسه، يصف المناطق الفلسطينية، بأنها أراضي العدو، معترفا بحقهم فيها، ولكنه في ذات الوقت لا يمكنه التخلي عن فكرة الوطن القومي لليهود.

أما الاعتقاد بأن استراتيجية الخطوط المحصنة، التي تحصن الدول من منظور الجغرافيا العسكرية، باعتبارها توفر الأمان، فقد أثبتت فشلها على مر الأزمنة بداية من سور الصين العظيم وحتى خط بارليف، وصولا إلى الوقت الحاضر؛ حيث اخترقت عناصر المقاومة الفلسطينية جدار الفصل العنصري، أو الحاجز الحدودي الذي يفصل بين غزة وإسرائيل، الأمر الذي أكده "ليبوڤيتش" حتى قبل قيام حرب 1973، قائلا: "**إن مفهوم "الخط الذي لا يمكن اختراقه" هو وهم خطير وغير صحيح: فلا يوجد منتج تقني يمكن أن يظل محصناً ضد القوة التقنية، ولا يوجد خط دفاع محمي إلا بفضل القوة والقدرة القتالية، والتي لا تحددها العوامل العسكرية فقط، بل تتأثر بشكل حاسم بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بشكل عام. فلا تحقق حيازة الأراضي أو "الخطوط" أي نوع من "الأمن" على الإطلاق.. نحن مضطرون للاستمرار لفترة طويلة – إذا كانت لدينا القدرة على ذلك – دون سلام، وفي ظلال أخطار الحرب المستمرة، ويعني هذا إننا سنبقى بلا "أمن". ولذا يبقى السؤال الأساسي: كيف نعيش وسنعيش في هذه الفترة؟**". (ליבוביץ', 1979، עמ' 427)

وكذلك توقع "ليبوڤيتش" معسكرات الإبادة الجماعية التي تقوم بها إسرائيل على نحو واسع في حربها على غزة اليوم، قائلا: "**لقد بدأت هذه الرؤية القاسية تتجسد أمام أعيننا بالفعل... ونحن نرى بصماتها في الفساد المتزايد داخل المجتمع اليهودي، وفي تحول الوعي القومي اليهودي إلى قومية متوحشة، بالإضافة إلى الظواهر "غير الطبيعية" ذات الطابع الاستعماري في إدارة الأراضي المحتلة مثل (الاعتقالات دون محاكمة، وتعذيب السجناء، وتفجير منازل عائلات المشتبه بهم، تهجير "غير المرغوب فيهم"، وغير ذلك)؛ وليس من المستبعد أن ينتهي بنا الأمر إلى إنشاء معسكرات للاعتقال أو حتى الإعدام. قد نضطر بعد فترة إلى التساؤل عما إذا كانت هذه الدولة تستحق الوجود، وما إذا كان من الجدير التضحية بالنفس من أجل استمرارها**". (ליבוביץ', 1979، עמ' 427)

يظهر هنا توثيق "ليبوڤيتش" لرحلة أبناء جلدته، وهم يتخلون عن إنسانيتهم تدريجيا، والتي تظهر في الفظائع التي يرتكبها الجيش الإسرائيلي في غزة وفي الضفة الغربية اليوم وغدا.

وينقلنا الحديث هنا إلى مناقشة قضية رفض الخدمة العسكرية في إسرائيل[16] من قبل الجنود الذين أنهكهم طول الحرب. ولا تزال هذه القضية تلقي بظلالها وتنتشر بشكل ملحوظ في الأوساط العسكرية الإسرائيلية، وخاصة بعد حرب إسرائيل على غزة في السابع من أكتوبر 2023، حيث شهد عدد الجنود الرافضين زيادة غير مسبوقة. والتكهنات نفسها ترددت على لسان "ليبوڤيتش" وتنبأ بها؛ حيث دعا "ليبوڤيتش" الجنود إلى رفض الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة، واعتبر أن البطولة الحقيقية تكمن في الرفض، وليس في الصمود أو الفشل في المعركة. إذ أنه في معرض حديثه عن الجنود الذين رفضوا أمر الخدمة في أراضي الضفة الغربية، في مقاله بعنوان: "المحارب ودولته– האדם הלוחם ומדינתו"عام 1985، الذي نشر تحت غطاء حركة "توجد حدود[17]– יש גבול"، قال فيه: "**إن الحكم بالعقوبة على**

الــرافضين، والذين يبلغ عددهم مئة وأربعون، والذين يرفضون القيام بأعمال تحول الجيش من جيش يدافع عن إسرائيل إلى جيش احتلال لإسرائيل، والذين يقبلون تحمل عواقب هذا الرفض. هؤلاء هم أبطال إسرائيل حقا... إنهم يرفضون الامتثال لأوامر النظام السياسي والقيادة العسكرية، وكلاهما معترف بهما قانونيا، بينما تهدف هذه الأوامر إلى تحويل دولة إسرائيل من إطار الاستقلال القومي "للشعب اليهودي" إلى آلية حكم يهودي عنيف للقضاء على شعب آخر، وكلك تهدف إلى القضاء على الديمقراطية من خلال إنكار الحقوق السياسية لمليون ونصف إنسان؛ .... وإذا أصبح هذا الرفض (الاستنكاف الضميري)، ظاهرة جماعية حتى وإن كانت تمثل أقلية، قد يقوض الإجماع القومي الفاشي بين الجمهور بأسره، وسيكون بداية طريق العودة من الحيوانية إلى المضامين الإنسانية واليهودية لوجودنا القومي". (ליבוביץ، 1985، עמ' 174-173).

ولكن، لم يتحقق ما نادى به "ليبوفيتش" ولم تعد إسرائيل عن طريق الحيوانية، بل إنها سائرة فيه، إن هذا النص السابق، يعكس بوضوح مدى الانحطاط الأخلاقي الذي تعيشه إسرائيل، والذي لا يزال مستمراً حتى يومنا هذا، بل إنه في ازدياد مستمر. ومن المتوقع أن يؤدي ذلك في النهاية إلى تقويض حرية التعبير وإلغاء الديمقراطية التي تدعيها إسرائيل، ومن المتوقع أيضا أن تكون بداية النهاية لإسرائيل. حيث يشير "ليبوڤيتش" في حديثه أيضا إلى أن المؤسسة العسكرية قد تدفع الجيش الإسرائيلي لاحتلال إسرائيل نفسها، مما يهدد وجودها. كما يصف توافق الآراء في المجتمع الإسرائيلي حول الاحتلال والخدمة العسكرية الإلزامية بأنها آراء فاشية، مما حول إسرائيل إلى دولة فاشية ومجتمع متوحش. وبالتالي، سيجد الجندي نفسه مضطراً لخوض حروب غير أخلاقية هو في غنى عنها. والنشوة القومية التي كانت توحدهم حولتهم في البداية إلى أبناء قومية متفاخرة عند تأسيس الدولة، ثم إلى أبناء قومية متطرفة بعد قيام الدولة، وانتهى بهم المطاف إلى أن يصبحوا أبناء قومية وحشية.

يمكننا أن نستنتج مما سبق أن تحقيق السلام يبدو أمرًا مستحيلًا، ولن يتحقق إلا بفناء أحد الطرفين. ويعود ذلك إلى الصراع المستمر على هذه الأرض، سواء كان بين اليهود أنفسهم أو بين الفلسطينيين ضد إسرائيل. ويتجلى ذلك في مقاومة الفلسطينيين وصمودهم أمام الاحتلال، الذي وصفه "ليبوڤيتش" بأنه احتلال نازي متوحش. وما يحدث الآن يعد خير دليل على ذلك.

الخاتمة:

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج، أهمها:

- تباين الآراء حول فلسفة "ليبوڤيتش" واتجاهاته الفكرية، بما في ذلك قضية السلام، بين مؤيد ومعارض في الساحة السياسية الإسرائيلية.
- يتلخص مفهوم "ليبوڤيتش" للسلام في الانسحاب من المناطق الفلسطينية المحتلة، وتقليص الاحتلال تزامنا مع التعايش بين كلا الجانبين. وينبثق الاعتراض الإسرائيلي على الدولة الفلسطينية من حقيقة خضوع الوجدان الجمعي اليهودي لفانتازيا الدولة اليهودية.
- تحقيق السلام أمر شبة مستحيل، أو أشبه بمهمة أصعب من إدخال جمل في ثقب إبرة، نظرا للاعتبارات الديموغرافية، وسياسيات الاحتلال الغاشمة، الذي سيحول إسرائيل، في نهاية المطاف، إلى فقدان أغلبيتها اليهودية، مما يحولها إلى دولة "كنعانية" تحت سيادة الفلسطينيين–المواطنين الأصليين.
- تبيان مدى التدهور الأخلاقي والسياسي الذي يعيشه اليهود، ما بين عدم أمن واستقرار دائم، وما بين حركات معارضة، ورفض للخدمة العسكرية، ومابين القيام بالحروب بلا جدوى لخدمة دعاة القومية والمكذبين بالدين.
- تكشفت إسرائيل كدولة فاشية وقمعية، فلا هي دولة قانون، ولا دولة الديمقراطية، والا الدولة اليهودية كما يدعون.
- الخطوط الدفاعية التي تحيط بإسرائيل لحمايتها لن تفيدها لا اليوم ولا غدا، مما يجعل انهيارها مسألة وقت كما يبدو من وقائع المشهد الراهن.
- ستصبح إسرائيل طوال الوقت على شفا حرب ستظل في تصعيد مستمر دون احتمال التوصل إلى حل نهائي.

Abstract

Peace in the Philosophy of "Yeshayahu Leibovitch– 'ישעיהו ליבוביץ"

By Iman Mohsen Sayed Bakr

Most Jewish philosophers in the modern era have sought to reconcile Judaism with contemporary Western movements, drawing on the intellectual concepts that Western philosophy has developed over time. Following the establishment of Israel in 1948 and the subsequent wars, this led to the emergence of the Arab Israeli conflict and efforts at peace negotiations. In response, Jewish thinkers adopted and adapted new philosophies to address the evolving realities they faced. To fully grasp these philosophies, it is crucial to understand the context from which they emerged. This study will delve into the work of Israeli philosopher "Yeshayahu Leibovitch" (1903-1994), whose ideas reflect a significant model of political philosophical thought in post-1948 Israel and continue to influence the Israeli political landscape today.

The study will explore Leibovitch's concept of peace, his proposed solutions for achieving it, and the challenges associated with implementing these solutions by analyzing his writings. Leibovitch, an influential thinker, addressed various aspects of Israeli reality in his numerous works, including peace, the future of Palestine, and potential solutions to these issues. The study is divided into two main sections, preceded by an introduction detailing Leibovitch's background, life, and intellectual contributions. The first section, "The Concept of Peace in the Philosophy of Yeshayahu Leibovitch," will examine his views on peace, while the second, "A Forward-Looking Vision for the Palestinian Future," will explore his perspectives on future solutions. The study will conclude with a summary of the main findings and a list of sources and references used.

Keywords: peace - Jewish philosophy - Yehaiahoho Lipovic

الهوامش

[1] منهج ديني تبناه "**ليبوفيتش**" عند شرحه لمعنى العقيدة والإيمان اليهودي، وحث من خلاله كل يهودي على التمسك بجوهر العقيدة، ووصايا التوراة لذاتها، وعبادة الرب لذاته دون أمل في ثواب، أو خوف من عقاب. أي العبادة دون انتظار أي مقابل أو مردود فهؤلاء هم المؤمنون حقا من وجهة نظره.

[2] مصطلح يهودي متطرف يشير إلى حدود إسرائيل من النيل إلى الفرات وفقا لما ورد في **سفر التكوين (15: 18)** حيث وعد الرب إبراهيم عليه السلام بإعطائه هذه الأرض قَائِلًا: "**لِنَسْلِكَ أَعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ.**" وهو ما تسعى المطامع الإسرائيلية إلى تحقيقه الآن بشتى الطرق.

[3] إن فكرة إنكار وجود الشعب الفلسطيني هي فكرة سائدة في الفكر اليهودي المتطرف، إذ أن هذه العبارة الواردة على لسان "جولدا مائير"(1898–1978م)، تعد خلفا لادعاءات "تيودور هرتزل" (1860–1904م) الزائفة التي كان يروج لها بأن فلسطين: "**أرض بلا شعب لشعب بلا أرض**"، ومع ذلك، لا يمكن اعتبار اليهود شعبًا بالمعنى الحقيقي، ولا نتفق مع تسمية "الشعب اليهودي" حيث لا يجمعهم سوى الدين فقط. وقد وصف بعض الكتاب النقاد حالة الإنكار التي يتبناها العديد من الإسرائيليين المتطرفين بأنها تعكس وجهة نظر ذهانيه تجاه الواقع. فرغم أنهم كانوا يشاهدون الفلسطينيين يوميًا، إلا أنهم كانوا يعيشون في حالة من الإنكار تجعلهم غير قادرين على التمييز بين الواقع وإدراكهم الذاتي. (אור، 2010، עמ' 4)

[4] تجدر الإشارة هنا إلى أن اليهود في الأساس لا تجمعهم قومية واحدة حتى بعد قيام الدولة التي يزعمون أنها ستحقق قوميتهم، بل إنهم متعددو الهوية ويفتقدون عناصر القومية الأساسية، ومنها: الأصل المشترك، واللغة، والعادات والتقاليد، والتاريخ، والحضارة، والثقافة، فلا يجمعهم سوى الدين وهم ينقسمون فيه أيضا. وقد تصور زعماء الصهيونية أنه بالإمكان أن يحدث الانصهار بينهم (بوتقة الصهر) وأن تذوب هذه الفروق داخل دولة خاصة بهم، ولكن ما يثبته لنا الواقع الآن هو عكس ذلك.

[5] شخصية مقرائية تعكس صورة امرأة زانية تحمي رجلين في بيتها، أرسلهما "يشوع بن نون" للتجسس على مدينة أريحا، حتى يتمكنوا من دخولها حسب سفر يشوع (إصحاح 2)

[6] حسب سفر التكوين قام "شكيم بن حمور" باغتصاب دينة ابنة يعقوب حينما عاد إلى كنعان مع ابناءه. (34 :2)

[7] تجري العادة في قصص المقرا أنه بعد أي معركة يجب أن يدمر بني إسرائيل المدينة كلها بما فيها من بشر وبهائم وحقول، وسلب جميع خيراتها وغنائمها. انظر على سبيل المثال، لا الحصر: تكوين (34: 29) والعدد (31: 9) يشوع (11: 14)

[8] وردت القصة كاملة في الإصحاح الرابع والثلاثون من سفر التكوين.

9 نظرية سياسية تعتبر الحرية الفردية أساس التقدم، وتدعو إلى استقلالية الفعل الفردي وحريته وتحد من تدخل الدولة والمجتمع بشكل عام، وتؤكد مبادئ حقوق الإنسان وترفض السطلة المطلقة سواء كانت دنيوية أو دينية. (الخشت، 2016، ص781–782)

[10] تأسس في أواخر عام 1975، كهيئة غير حزبية تدعو إلى الاعتراف المتبادل بين إسرائيل والشعب العربي الفلسطيني عن طريق تشكيل عدد من الممثلين يدعون إلى تحقيق السلام وإقامة دولة فلسطينية مع ضمان أمن إسرائيل وعدم تعريضها لخطر الحرب. (רולף، 1998، עמ' 150)

[11] لخص مؤسسي المجلس –وعلى رأسهم الصحفي اليساري "**أوري افنيري– אורי אבנרי**" (1923–2018م) – هذه المبادئ في ثلاثة عشر مبدأ، جاءت بعنوان "**نحن نؤمن – אנו מאמינים**" تدور معظمها حول مفاوضات وأفكارا للتعايش الفلسطيني الإسرائيلي وإقامة دولتين لكلا الجانبين. وبجانب هذه المبادئ نشر مؤسسي المجلس بيانا بعنوان "**نحن ننادي– אנו קוראים**" يدعون فيه جميع الإسرائيليين– الذين يعتبرون هذه المبادئ السبيل الوحيد لسلامة وأمن إسرائيل– إلى الانضمام إلى المجلس. (ליבוביץ', 1992، עמ' 406–404)

[12] المقصود بتلك الخطوة "اتفاقية أوسلو": اتفاق سلام وقعه كلٌّ من "ياسر عرفات"، و"إسحاق رابين" عام 1993م، يمنح الفلسطينيين عددًا من الامتيازات، بهدف التوصل لتسوية دائمة للتعايش السلمي والأمني المتبادلين؛ حيث تعهدت إسرائيل بالقيام بعدة عمليات سلمية، منها الانسحاب من عدة مدن، والإفراج عن معتقلين في السجون الإسرائيلية. ولكن نجم عن ذلك اغتيال "رابين" نظرًا لإبرام هذه الاتفاقية ومحاولة تحقيقه عملية السلام. (اشتية، 2011، ص 17)

[13] تجدر الإشارة إلى إن هذه الخطوة نحو السلام، باءت بالفشل، ولم تستمر في مسارها القويم، وخاصة بعد مقتل "رابين"، إذ اندلعت انتفاضة الأقصى الثانية في عام 2000، عقب اقتحام قوات جيش الاحتلال الإسرائيلي المسجد الأقصى، مما أسفر عن عدد كبير من القتلى والجرحى، وتدمير آلاف المنازل والبيوت. (اشتية، 2011، ص 90–93)

[14] "**العروس**": تستخدم هذه العبارة ككناية عن فلسطين، خاصة في سفر "نشيد الإنشاد" التي رأى فيها اليهود أرض ذات حسنا وجمال فاغتصبوها لإنشاء وطن قومي لهم. ولكن هذه "العروس" كانت زوجة رجلا آخر لا تحل لغيره.

[15] تسيطر على "ليبوڤيتش" هنا فكرة اضطهاد اليهود ومعاناتهم طوال الزمان، وهي فكرة سائدة في الفكر اليهودي المتطرف، بأن اليهود دائما ما كانوا يغرقون في ألوان العذبات المختلفة. وهو ما يعرف في الفكر الصهيوني بمصطلح "معاداة السامية"، والذي يشير إلى وجود عداء دائم ضد اليهود، ولا نتفق مع هذه التسمية؛ فلا يصلح أن نطلق على معاداة اليهود أو معاداة إسرائيل، مصطلح "معاداة السامية"، فاليهودية أو الإسرائيلية، جزء من السامية، إذ إن المقصود من السامية من كان من نسل نوح عليه السلام، ومن الساميين جاء العرب، وإلا ستشمل العرب أيضا، فمن الخطأ أن نسمي معاداة اليهود بمعاداة السامية، ويمكن أن نطرح مصطلح "اللا يهودية" أو "اللا إسرائيلية" بدلًا منه، وهذا أدق. وتعد هذه الظاهرة– وفقا للفكر اليهودي المتطرف– ظاهرة مرضية نفسية لدى الآخرين من غير اليهود أو "الجوييم" وفقًا للتسمية اليهودية، إذ أن يهودا ليف بنسكر (1821– 1891)، زعيم الصهيونية السياسية، عبر عنها بمصطلح "يودو فوبيا–יודופוביה". (גולדשטיין، 1982، עמ' 8)

[16] بدأت براعم ظهور هذه القضية قبيل قيام إسرائيل في شكل حالات فردية، ولكنها اشتدت في الظهور بشكل جماعي بعد حرب 1967، وما تلاها من حروب شنتها إسرائيل على المدنيين الفلسطينيين، وعلى الدول الأخرى المجاورة كرفض ضميري لسياسات الجيش الإسرائيلي العنيفة واللا إنسانية في الأراضي المحتلة. فقد رأي البعض أن السيطرة على هذه الأراضي والتحكم في مصير

أصحابها جرم أخلاقي. وأول من أشعل شرارة الرفض كان "جادي الجازي"، أحد طلاب المرحلة الثانوية الذين رفضوا الخدمة العسكرية في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1971م. ومن هنا طالب البعض برفض أداء الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة. وكانت الانتفاضة الفلسطينية التي قامت في عام 1982، نقطة تحول فارقة في زيادة حالات الرفض، حيث دفعت أفعال المواجهة مع الفلسطينيين توقيعات ألفين وخمسمائة جندي يطالبون بعدم تأدية الخدمة العسكرية، ولكن في الأراضي الفلسطينية المحتلة فقط. فتعرضوا للمحاكمات والعقوبات. إذ أنه وفقا لقانون الخدمة العسكرية في إسرائيل، تنص المادة (35 أ) على معاقبة كل من يرفض تنفيذ الأوامر العسكرية بالسجن لمدة سنتين. كذلك تميز المؤسسة العسكرية في إسرائيل، بين نوعين من مستنكفي الضمير الذين يرفضون الخدمة، النوع الأول: يكون بدافع النزعة السلمية، على اعتبار إنهم "دعاة سلام غير سياسيين" أي رفضا مدفوعا بالسلام، أما النوع الثاني: يكون رفضا لأسباب سياسية، وهو معارض العنف والاحتلال وسياسات الدولة، أي أنه يمس بالنظام بشكل عام. والمجندين الذين يستطيعون إثبات أنهم من النوع الأول تكون لديهم فرصة أكبر للحصول على إعفاءات من الخدمة. (صالح، 2017، ص 53-78)

[17] من أهم الحركات التي تؤيد رفض الخدمة العسكرية وتدعم الرافضين لها. قامت هذه الحركة عام 1982، بالتزامن مع حرب لبنان الأولى. بمبادرة مجموعة من الضباط وجنود الاحتياط، أرسلوا خطابا موجها إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي، بعنوان "توجد حدود" صرحوا فيه علانية عن رفضهم تأدية الخدمة العسكرية في لبنان، انطلاقا من أن هذه الحرب تقع خارج حدود دولتهم. رافعين شعار إن "هذه الحرب ليست حربنا". واتسعت دائرة رافضي الخدمة لتصل إلى جنود إسرائيليين في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين. وكان "يشعياهو ليبوفيتش" من اوائل المتبرعين لجمع ثمار قلمهم. (منصور- نحاس، 2009، ص 303-204)

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية:

- اشتية (محمد)، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، 2011م.
- الخشت (محمد عثمان)، معجم الأديان العالمية، المجلد الثاني، الناشر: مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، القاهرة، ط2، 2016م.
- حسن (محمد خليفة)، الشخصية الإسرائيلية – دراسة في المجتمع الإسرائيلي نحو السلام، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد (2)، 1998م.
- صالح (محمد أحمد)، رفض التجنيد والتمرد على الأوامر العسكرية في إسرائيل بين التهوين والتهويل، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مج172، 2017.
- منصور (جوني)، نحاس (فادي)، المؤسسة العسكرية في إسرائيل، مدار-المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، 2009.

ثانيا: المصادر والمراجع العبرية:

- אור (ע.), חלופה למדינה פסיכטית- אלטרנטיבה למדינה ספיכוטית, ישראל, 2010.
- אליצור (יובל), 31 דמויות ממעבי דור המדינה, מו' 'ל כרמל, ישראל, תשס"ח, ישראל, 2008.
- גולדשטיין (יוסי), דת ולאומיות בתנועה הציונית1881- 1912, יצא לאור ע"י הוצאת האוניברסיטה הפתוחה, ישראל, 1982.
- גולדשטיין (ניב), ישעיהו ליבוביץ ואסא כשר- על דת, פוליטיקה ומוסר, רסלינג, תל אביב, ישראל, 2011.
- ליבוביץ' (ישעיהו), יהדות, עם יהודי, ומדינת ישראל, הוצאת שוקן-ירושלים ותל-אביב, הדפסה חמישית, ישראל, תשל"ט, 1979.
- ----------, רציתי לשאול אותך, פרופ' ליבוביץ'...; מכתבים אל ישעיהו ליבוביץ וממנו, המערכת: עפרה ליבוביץ גולדברג ואחרים, כתר הוצאה לאור, ישראל, 1992.
- ----------, האדם הלוחם ומדינתו, בתוך גבול הציות, נערך ע"י ישי ודינה מנוחין, תנועת יש גבול, תל אביב, ישראל, 1985.
- רולף (שילה הטיס), לקסיקון פוליטי של מדינת ישראל, בית ההוצאה הירושלמי،כתר، ישראל، 1988.
- שגיא (אבי), ישעיהו ליבוביץ- עולמו והגותו، כתר הוצאה לאור، ירושלים، ישראל، 1995.
- שחר (משה)، יהדות על פי ליבוביץ'، גרסה 1، ישראל، 2007.